النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

اولئك المزيفون ...

* *

كانت الصفحات الادبية في بعض صحف بيروت ، في الاسبوعين الأخيرين ، معرضا لبيانات وتصريحات خطيرة تصدرها تلك الفئة من دعاة الشعر الحديث التي اشرنا في عددنا السابق الى موقفها الشاذ من الحضارة العربية والى تنكرها لواقع الحياة العربية ، ومما جاء فيها نظرية في اخلاص الشاعر لذاته ، تقضي برفض التراث والقيم والحفاظ على الذات في حال من بكارة الامية والجهل ، اما الذي اكتشفه هؤلاء في ذاتهم « البكر » فلم يكن ، على مايظهر من شعرهم ، غير خزان من « البول » ، وغير قدرة على « التبحر في المرحاض » حيث يعانون اصدق تجارب الكيان واعمق معضلات الوجود ، على حد قولهم بالذات ، ولم يكن غريبا ان لايؤدي هذا النوع من الاخلاص للذات الى اصالة وتفرد في النتاج الشعري . ذلك ان « البول » قد رشح الى ذاتهم من برنامج السرياليين ، وكذلك القدرة على التبحر في المرحاض وغيرها من الصفاقات والفضائح والشتائم قد نسخت عن المظاهر الخارجية للمذهب السريالي .

وقد يسأل البعض كيف تم لهذه الفئة ان تدعي ماتدعيه وان تنشر ماتدعيه على صفحات الجرائد ، في الجواب على ذلك يجب ان نفرق بين الاسباب المباشرة والاسباب الجذرية البعيدة . ومن الاولى الدرك الذي انحطت اليه الصحافة الادبية . كانت الصحف اليومية قد زادت عدد صفحاتها وافسحت فيها مجالا للادب دون ان تتوفر لديها الاقلام المسؤولة، فعهدت بصفحة الادب الى بعض محرري الاخبار فيها . وكان هؤلاء من الطلاب الذين اخفقوا في مرحلة التحصيل الثانوي فلجأوا الى الصحافة يملأون فيها الوظائف التي تناسب كفاءتهم الثانوية . ولم يأت التطور الانحطاطي دفعة واحدة او مفاجأة ، بل مر في مرحلتين متعاقبتين ، سيطر في اولاهما الاسلوب الصحفي على الادب ، وفي المرحلة الثانية حول هؤلاء الشعر عن طبيعته ليتسع لتمارينهم الانشائية ومقالاتهم الصحفية التي اصبحوا يدعونها « قصائد نثرية » . ولكي يخفي هؤلاء خواء نتاجهم من المضمون ولكي يقنعوا اميتهم ابتدعوا حيلة بارعة هي نظم المقالات على نمط الالغاز في الكلمات المتقاطعة . وهكذا اصبح في قدرة الاميين ان يبدعوا شعرا يستعصي فهمه على خاصة الخاصة !.. وقد قال الاستاذ ايلي حاوي في هذا الصدد : « كان كيمياء مست محرري الاخبار فحولتهم الى شعراء ! » هذه اهم الاسباب المباشرة وقد اشار اليها وسفهها الشعراء والادباء الذين يحرصون على المستوى والاصالةفي التجديد . ومن بينهم الدكتور جميل جبر والشاعر خليل حاوي والشاعر رفيق خوري والاستاذ اديب مروه والاستاذ باسم الجسر .

اما الاسباب الجذرية البعيدة فتعود الى يوم حرض بعض المستشرقين المرتبطين بوزارات المستعمرات بعض الادباء والشعراء في لبنان على خلق ادب وشعر يدعوان الى انفصال لبنان عن العالم العربي . وكانت مقدمة « قدموس » دستور ايمان للحركة الجديدة دعا فيه سعيد عقل، بدون استحياء ، الى « لبننة العالم » . ولم يكن غريبا ان يصحب هذا التهريج الدون كيشوتي في الموقف الحضاري شذوذ في الاداء الشعري يقصد منه صدم الذوق ولفت النظر الى شعر لابد ان يقاطعه الناس لما يشتمل عليه من دعوة شاذة مفرضة . لهذا الح سعيد عقل بادخال « أ ل » على الفعل حيث لاضرورة الى ذلك ، كما الح وبالغ في تجميل شعره وتحليته بالزخارف الخارجية . ثم قامت مجلة « شعر » وكان من اغراضها تعميم استعمال الـ « ال » كما استعملها سعيد عقل والدعوة الى موقفه الحضاري . وكان من السخرية ان يناهض شعراء « شعر » سعيد عقل بينما هم يفيدون من مهارته ويتفيأون قدموسه ... وعبثا حاولوا ان يلحقوا بشعراء الطليعة في العالم العربي وان يتفردوا عنهم في اصالة التجديد واغراضه الجوهريه ، فكان ان لجأوا الى دعوى التفرد بالشكل الخارجي ، الى كتابة القصيدة النثرية ، لقد اثاروا غبارا كثيفا حولها وزيفوا واقع الشعر في الادب العربي والادب الاوربي . فعدوا انفسهم اول من حاول الشعر المنثور في الادب العربي وفاتهم ان الريحاني وجبران وغيرهما قد حاولوه من قبل وقد عادوا فيه الى الصور المكية في القران والى المقاطع الشعرية في التوراة . كذلك عدوا القصيدة النثريه اخر ماانتهى اليه تطور الفن الشعري في الغرب مع انها مابرحت فيه جدولا صغيرا من الجداول الجانبية . وفي عرفهم انه يكفي ايا كان ان يكتب القصيدة النثرية ليكون شاعرا حديثا .. ولهذا شجعوا محرري الصحف وطوبوهم شعراء حديثين . هذا من حيث الشكل ، اما من حيث المضمون فالمطلوب الجمع بين « البول وضوء القمر » ، او الاكتفاء بالبول وحده !...

هذه نهاية الشاعر عندما يدور في فراغ ذاته وتنقطع صلته بواقع الحياة في وطنه . يصاب بالورم الاجوف ويشيع هذا الورم في شعره ، نماء شاذا غير طبيعي ، قد يلفت الانظار ويسترعي الانتباه ، غير انه في الوقت نفسه يستدعي الرثاء والسخرية . وفي هذه الحال ينعدم الفرق بين جمالية سعيد عقل المسرفة وبين بشاعة الشعراء المحدثين ، فكلاهما وسيلتان لعرض الذات وللتهريج المحزن .

هذا تلخيص للموقف تقدمه « الاداب » مستقى من فصول المعركة القائمة الان بين هؤلاء المدعين وبين دعاة « الاصالة » والحفاظ على المستوى في التجديد .

وليس من قبيل الغرور ان نرد على مجلة « شعر » واصدقائها الذين مافتئوا يزعمون ان مجلتهم هي التي حضنت وحدها تيار الشعر العربي الحديث ، وهم ينسون ان « الاداب » قد صدرت قبل صدور مجلتهم باربع سنوات على الاقل ، وان جميع شعراء التيار العربي الحديث قد اجتمعوا على صفحات « الاداب » وان دعاة الشعر العمودي القديم قد هاجموا هذه المجلة مرارا وتكرارا لهذا الموقف الذي اتخذته في مناصرة هذه الفئة المبدعة المتحررة .

هذا وقد صدر اخيرا عدد مجلة « شعر » عن الجزائر ، فتصفحناه وخرجنا منه بملاحظات من اهمها ان القصائد المترجمة اجدد من القصائد المكتوبة في العربية ، ولا يعود ذلك الى تقدم الشعراء الاجانب في الفن الشعري وتخلف شعراء مجلة شعر فيه ، بمقدار مايعود الى وعي الاجانب لمأساة البطولة القومية في الجزائر وما تنطوي عليه من قيم الحق والعدالة . انها في اعتقادهم مأساة انسانية صارخة . اما شعراء مجلة شعر فيفتقرون الى حد بعيد لهذا الوعي العميق الصادق . واذا استثنينا القصائد التي نقلت ـ من غير استئذان ـ عن مجلة « الاداب » كبعض مقاطع قصيدة « فرنسا والريح المجنونة » لنذير عظمه ، وجدنا ان القصائد العربية لاتعبر عن وحدة المصير العربي الذي يعتبر الصراع في الجزائر معركة من معاركه العديدة في الوطن العربي الكبير . انهم يكتبون في قضية فرض عليهم ان يكتبوا فيها وهي غريبة عنهم لايعانون مأساتها كما يعانيها كل عربي مخلص ، وكيف يمكن لمن يرى ان اللغة هي الصلة الوحيدة التي تربطه بنا ان يشاركنا في قضايا المصير وان يعبر عنها تعبيرا يستشير اعجابنا ؟ وكان ادى الزيف في الموقف الى الزيف في الشعر اذ كثرت فيه الصور المجتلبة بكد ذهني وعبث بالالوان غايته حياكة الاقنعة المزركشة . وهذا دليل قاطع على ان الاخلاص ام الفضائل في الادب ، ان من يرفض واقع الحياة العربية وينسلخ عنه لايجوز في

حال من الاحوال ، ولاي غرض من الاغراض ، ان يرغم نفسه على التعبير عن ذلك الواقع ..

ولا بد لقارىء هذا العدد من « شعر » ان يتساءل : اين ادونيس الذي يعتبر محركا رئيسيا من محركي او محركات المجلة ؟ المعروف الشائع انه الان في فرنسا يستفيد من منحة لسنة يقضيها في باريس قدمتها له الحكومة الفرنسية .. فمن الطبيعي والمعقول الا يشارك في نظم الشعر عن القضية الجزائرية .. غير اننا لانستطيع هنا ان ننسى موقف المفكرين الفرنسيين الاحرار الذين ثاروا على حكومتهم بسبب سياستها في الجزائر ، فحرموا الاستفادة من الرحلات الثقافية والخدمات العامة ومنع ذكر اسمائهم في الاذاعة والتلفزيون .. وهكذا نجد هناك فرنسيين يحرمون ، ونجد هنا « عربا مناضلين » يمنحون ..

ويقال ان اصدار هذا العدد من تلك المجلة عن قضية الجزائر قد اوحى به بعض الشعراء العروبيين الذين لم يكفهم ان يعترف بهم من هم في خطهم ، فطمعوا بمزيد من الاعتراف ، ولو كان ذلك من مناهضي العروبة .. وقد فاتهم ان من يحاول ان يربح الضد وضده يخسر الاثنين معا !

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي

نكسة الشعر في اقليمنا

لمراسل الاداب محيي الدين صبحي

يمر الشعر في الاقليم الشمالي بأزمة بدا من علائمها قلة الانتاج وانعدام الاتجاه وضعف المستوى في الشعر الذي يصدر عن شعرائنا . لقد اعتمدنا فترة طويلة على كلاسيكيات بدوي الجبل وابداعيات ابو ريشة وجماليات نزار قباني ورومانسيات نديم محمد ، وصدرنا ـ عن طريق التهجير ـ جيلا اخر من الشعراء الشبان الذين اخذوا باكتشاف ذرى وبناء مجد ، ثم تلفتنا فلم نجد الا المفرزمين .. والمتخلفين والمقلدين والناشئين الذين لم يشقوا اخدودا في دروب الكلمة وبعض الموهوبين الذين يرسمون تلاوين فجر جديد .

وقد يستطيع المرء ان يفسر هذا الصمت بانه تأهب وتخمر ، بعده سوف يطلع الى الدنيا الشعر والشاعر ، لكن مايجعل النبوءة تجنح الى التشاؤم هو مانرى من عزلة عن الحياة في العالم ، وعن الثقافة الانسانية شرقية او غربية ، وبعد شاسع بين القارىء والانتاج المعاصر في العالم المتحضر ، يضاف الى ذلك انخفاض المستوى التعليمي والثقافي عند الجيل الصاعد .. واخيرا اصطباغ الحياة بنوع من الهدوء السأمان واللامبالاة العابثة وانحراف الشبان نحو تأمين الحاجات المعاشية للحياة اليومية وتقديسهم للذة العاجلة والمنفعة العابرة مما يصدهم عن التأمل الطويل والتفكير العميق ، وهذا كله يضعف العزيمة ويثبط الهمة فيفقد الشاعر حماسته وايمانه وبالتالي تزول المغامرة التي هي جوهر الشعر..

ان ركود الحياة الروحية قابله نشاط مادي وفاعليات جسدية ، كما ان فقدان المعنى لحياة الجيل يتوازن مع ازدياد الاهتمام بالتفاهات كالاناقة وحب الظهور وكثرة المنتديات الاجتماعية .. وفي غمار كل ذلك ضاع الشعر والادب والرسالة والايمان .. بقي لدينا الرجال الجوف وعيدان القصب وموجة من الشعر الموزون والمنثور يتحسر قارئها على ثمن الورق والحبر الذي تصرفه الجرائد والمجلات ودور النشر ..

والخطر في هذه الحياة ان يضيع هدير الزمان عن اذن الشاعر ، فيصبح احد اثنين : شاعرا لفظيا مجوفا او شاعرا ستاتيكيا محنطا . واذا كان الاول مكشوفا لدى القراء ببريق حروفه وفراغ مضامينها ، فان الشاعر الثاني اشد خطرا وابعد مكرا لانه يستطيع ان يخدع الكثيرين بما يستند اليه من تراث طويل لكنه بعيد عن روح العصر . لقد بنيت حضارة القرون الوسطى ـ الاسلامية والمسيحية ـ على فكرة ثبات العالم ـ وهي النظرة التي قال بها ارسطو ، اما العصر الحديث فقد الغى هذه الفكرة واثبت ان العالم متحرك : بدأ بالتأكيد على دوران الارض ، وانتهى ـ حتى الان ـ باكتشاف حركة النويات داخل الذرة .. لا شيء ساكن في هذا العالم . انه متحرك . وهدير الحياة يصل الى مسامع الناس ، وحساسية الشعراء تتفاوت في الانصات الى هذا الهدير .. وكلما استطاع الشاعر ان ينقل اصواتا اكثر وتماوجا ادق ، كان شاعرا كبيرا وانسانا عظيما.. لانه بذلك يستطيع ان يجمع بين الدائم والعابر في لمحة . انه يعرض الانسان والزمان مرة واحدة فيقدم لنا مشاعره وأزمة عصره في وقت واحد ضمن تجسيد انساني وشكل فني عضوي . وفي ذلك يقول سان جون بيرس : « الجمود وحده هو الذي يهدد بالخطر ، وشاعر هو ذاك الذي يقطع امامنا حبل المألوف والمعتاد . وهكذا يجد الشاعر نفسه مرتبطا بالرغم منه بالحادث التاريخي ، وليس في مأساة عصره ماهو غريب عنه . انه يعبر للجميع بوضوح عن متعة العيش في هذا العصر العظيم! ».. ويبدو ان ليس لدينا شاعر يعرف مأساتنا في عصرنا هذا.. لان اكثر شعرائنا معزولون عن تيار تاريخنا ، اما المرتبطون به فانهم يرتبطون بالحوادث والظواهر دون ان ينفذوا الى باطن الحوادث وجوهر التاريخ!

ان الخطر الاول للفهم الستاتيكي هو الانعزال عن الحياة المعاصرة .. اما الخطر الثاني فهو التجزيئية ، ان الذي يرى العالم ثابتا يستطيع ان يعزل بعضه عن بعضه الاخر ويفصل منه لوحات خرسا صامتة ويقدم النفس الانسانية على قطاعات متباعدة فيعزل الحالة النفسية الموقتة عن مجرى الحياة الشعورية العامة بماضيها وحاضرها والمستقبل ، كما انه يعزل الحالة الجمالية عن الانطباع الشعوري ، ويخلص التجربة من اطار الزمن فيأتي الشعر عائما متفككا .. بعكس الشاعر الذي على العالم المعاصر الفارق في دوامة الحياة المتسارعة .. انه يرى العناصر متكاثفة ويقدمها من خلال تلاصقها وأثناء دورانها في دوامة الزمن الهارب ..

ان الخطر الذي يتهدد الشعر في الاقليم الشمالي هو خطر الستاتيكية التي تؤدي الى التجزيء والبعد عن الحياة المعاصرة ، اما خطر اللفظية فانه يزول مع الزمن لانه يحتاج الى اطلاع واسع على غنائيات الشعر العربي والى معرفة مفردات كثيرة ، وهذا الاهتمام بدأ يقل في نفوس الناس حتى كاد ينعدم .. وما دمنا نتحدث عن اللغة فيجب ان نقول ان الشعر الذي يصدر عن نبض الحياة يحتاج الى لغة نابضة والى جرأة من الشاعر في تعامله مع الكلمة .. ومن هنا ينبع خطر العزلة الثقافية التي يعيشها الشعر في الاقليم الشمالي .. لقد تعاون في الخمسة الاعوام الماضية جيل من الشعراء والنقاد في انحاء العالم العربي على قلع اللفظة من جذورها الثابتة وألقوها تحت رياح الزمان وغمسوها في جروح تاريخنا ومآسي حياتنا حتى اصبحت بعض القصائد تحمل نكهة عمرنا .. ومن المؤسف ان يتطلع الشاعر الناشيء حوله فلا يجد الا النماذج المهترئة والتعبيرات المكرورة المبتذلة فاما ان يطوي ضلوعه على مايجيش في نفسه، واما ان يتكلم فيخطيء التعبير ..

ومع كل ذلك مازال في المصباح زيت .. ان في الجامعة عددا من الشعراء بدأوا بدايات طيبة وما علينا الا ان نعمل ونعمل كثيرا حتى نيسر لهم سبل الاتصال بالتجارب الشعرية العربية وبخاصة في لبنان والعراق .. ومن الضروري ان نفتح نوافذنا لرياح الغرب ونكثر من الترجمات الشعرية والنقدية لئلا يصاب الشعر عندنا بنكسة تعيده الى عهد جبران وعلي محمود طه المهندس .. وفي احسن الاحوال يصبح الشعر الجديد اجترارا للقباني وسعيد عقل بدلا من ان يتجاوزهما .

ومن ينظر في الشعر المنشور في جرائدنا المحلية ـ باعتبار اننا لانملك في اقليمنا مجلة ادبية ـ يجد ان بوادر النكسة قدبدأت بالظهور.